وقد عرفت البيئة المعاجم منذ القرن الثاني الهجري، إذ يعد معجم العين للخليل بن أحمد (175ه)أقدم معجم عربي بمعناه الشامل . و كانت اللبنات الأولى للمعاجم متمثلة في بعض الرسائل اللغوية التي سجل أصحابها ألفاظها عن طريق معيشتهم للبدو الأصلاء، فكان من هذه الرسائل (المطر) لأبي زيد الأنصاري (214ه)، و (الخيل) للأصمعي (2016ه)، و (البئر) لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (ت231ه) كذلك كانت كتب الأضداد أساسا جيدا لتلك المعاجم، من ذلك الأضداد لابن السكيت (244ه) و الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري (327ه)، و الأضداد لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت 351ه).

و إذا كان معجم العين هو أول معجم عربي بمعناه العام، فإنه لا يمكن الجزم بتحديد أول من استخدم كلمة (معجم) بدلالتها المحددة، إلا أنه يبدو أن علماء الحديث هم أول من صنفوا كتبهم تبعا للترتيب الهجائي، "و كان الإمام البخاري... من رواد التأليف المعجمي ، و قد ألف كتبا كثيرة، منها: كتاب التاريخ الكبير الذي قال في مقدمته: " و قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: هذه الأسامي وضعت على: أ، ب، ت، ث، و إنما بدئ بمحمد ... لحال النبي صلى الله عليه و سلم، فإذا فرغ من المحمدين ابتدئ في الألف، ثم الباء، ثم التاء، ثم الثاء، ثم ينتهي بها إلى آخر حروف أ، ب، ت،ث، و هي (ي)، و قيل إن الإمام البخاري كان نفسه أول من أطلق لفظة (معجم) وصفا لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم".

و يبدو أن بداية استعمال كلمة معجم تعود إلى القرن الثالث الهجري، فقد استخدم البخاري مصطلح حروف المعجم في" التاريخ الكبير" و قد شاعت الكلمة بعد ذلك، حيث جاءت في عنوان لكتاب المعجم لأبي يعلى و هناك كتب كثيرة من بينها (المعجم الكبير) و (المعجم الصغير).و اللافت للانتباه أن أحدا من أصحاب المعاجم اللغوية لم يستخدم لفظ (المعجم) عنوانا لمصنفه ، و يبدو ذلك في (العين)، للخليل بن أحمد و (الجمهرة)، لابن دريد(ت321)، و (البارع)، لأبي على القالي(ت356ه) و (تهذيب اللغة)، للأزهري (ت370ه)، و (المحيط في اللغة)، للصاحب بن عباد (385ه)، وتاج اللغة و صحاح العربية)، للجوهري (393ه)، و (المجمل) و (مقاييس اللغة) لابن فارس (ت395ه).[1]

المحاضرة الخامسة: الصناعة المعجمية عند العرب:

و قد انبثقت فكرة المعجم الشامل في أذهان اللغويين العرب منذ وقت مبكر لا يتجاوز منتصف القرن الثاني الهجري حينما ألف الخليل بن أحمد (100-175) معجمه الشهير "العين" بطريقة إحصائية قامت على جملة من الأسس منها: حجم الكلمة- الترتيب الصوتي- نظرية العناصر – التوافيق و التباديل، ثم تتابعت المعاجم في القرون الثلاثة التالية ، و تنوعت بشكل لا تكاد تعرفه معاجم اللغات الأخرى فرتبت إما بحسب الألفاظ، أو بحسب المعاني، و رتبت معاجم الألفاظ إما بحسب الترتيب الصوتي، أو الألفبائي، أو بحسب الأبنية (الأوزان)، و رتبت المعاجم الألفبائية إما بحسب الأوائل، أو الأواخر كما يدل الشكل التالي:

[1] فتح الله سليمان، دراسات في اللغة، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2008 ، من ص: 60إلى ص:63.

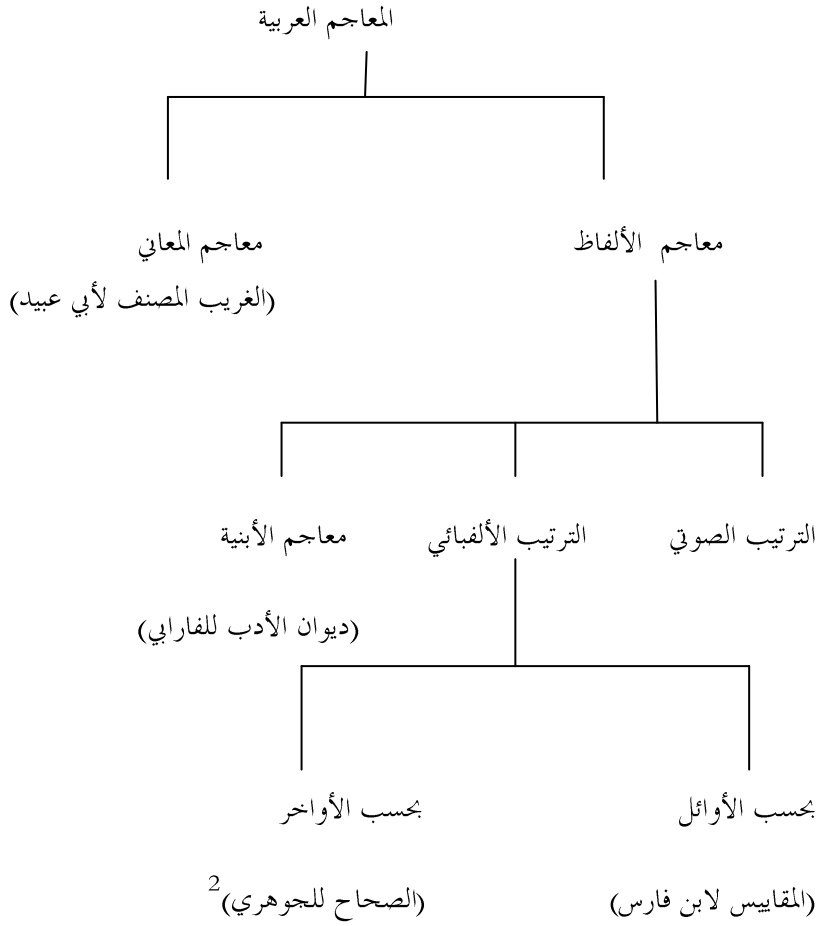

معاجم المعاني (الموضوعات):

و هي تلك الرسائل الصغيرة التي جمعت ألفاظ اللغة و رتبتها تبعا لموضوع من الموضوعات ورتلتها تبعا لموضوع من الموضوعات، أو معنى من المعاني العامة، و عرفت قدرا أكبرمن التظيم بحيث جمعت كل رسالة منها مجموعة من الأفاظ التي يربطها رابط لفظي معين، و كجمع الألفاظ التي ترتبط برابطة الأضداد ، حيث اللفظة الواحدة تدل على الشيء و ضده، و كذلك الكتب التي ألفت في النبات أو الحيوان أو خلق الإنسان...الخ.[3]

تفيد هذه المعاجم من يدور في ذهنه معنى من المعاني أو يفكر في موضوع ما، و يريد أن يجمع الألفاظ المتعلقة به، أو ذات المعنى كالأدباء و الشعراء و أصحاب التخصصات.

المحاضرة السادسة: الصناعة المعجمية عند العرب:

قسم اللغويون و الباحثون المعاجم العربية- من حيث نظام ترتيب الكلمات خمسة أقسام:

1/ قسم يعتمد على المخارج الصوتية و نظام التقليبات، و يأتي على رأس هذا القسم معجم (العين).

2/قسم ثاني يرتب الكلمات حسب الحرف الأول من الكلمة، و يجيء معجم (الجيم) للشيباني (206ه) في صدر هذا القسم

[2] احمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص:26.
[3] عزة حسين غراب، المعاجم العربية، رحلة في الجذور التطور و الهوية، ص: 53 و 54.

3/ و قسم ثالث يقوم منهجه على إيراد الكلمات حسب الحرف الأخير ، و يمثله معجم (التقفية في اللغة) للبندنيجي (ت284). و يطلق على هذه المعاجم التي تتبع هذه الطريقة (مدرسة القافية).

4/ و قسم رابع ينبني على نظامالأبنية و الترتيب الهجائي، و يمثله (جمهرة اللغة) لابن دريد.

5/ و آخر خامس يرتب الكلمات بحسب الموضوعات، مثل: (الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224ه)، و (جواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر (ت337ه)، (مبادئ اللغة) لأبي عبد الله الإسكافي (ت421ه). و كتاب الخيل للأصمعي (216ه).

مدرسة المخارج الصوتية:

العين:

صاحبه الخليل بن أحمد الفراهيدي، من قبيلة الأزد، ولد سنة 100ه، و كان تقيا زاهدا، عالما جليلا، أديبا بارعا، رأس المدرة البصرية و اخترع العروض.[4]

لم يجد الخليل فيما بين يديه من رسائل لغوية صغيرة منهجا يبلغه غرضه فاضطر إلى استبعادها و التفكير الطويل في منهج صالح له. و أخيرا اهتدى إليه.[5]

و يضع الباحثون معجم العين على رأس مدرسة المخارج الصوتية و التقليبات، و قد سماه باسم الحرف الذي بدأه به، إذ لم يرتبه على حروف الهجاء و التقليبات و قد سماه باسم الحرف الذي بدأه به ، إذ لم يرتبه على حرو ف الهجاء، بل قدم الحروف الحلقية، و لم يبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها التغيير و الحذف، و لا بالألف لأنها لا تكون في بداية الكلمة إلا زائدة أو مبدلة، و لا بالهاء لأنها مهموسة خفية.ثم نزل إلى العين و الحاء فوجد أن أولهما أنصعهما فبدأ به معجمه.

سجل الخليل – في البداية- كل المواد اللغوية التي فيها حرف العين، ثم باب الحاء و رصد فيه المواد التي فيها حرف الحاء مما تخلو من العين، إذ سبق ذكرها في باب العين، ثم باب الهاء..

و كان ترتيب الخليل في معجمه يسير كما يلي

1- خمسة أحرف حلقية ع/ح/ه/خ/غ.
2- حرفان لهويان: ق/ك.
3- ثلاثة أحرف شجرية ج/ش/ض.
4- ثلاثة أحرف أسلية: ص/ س/ز.
5- ثلاثة أحرف نطعية: ط/د/ت.

[4] فتح الله سليمان، دراسات في علم اللغة، ص:65، 66.
[5] حسين نصار ، المعجم العربي نشأته و تطوره، ص218.

6- ثلاثة أحرف لثوية: ظ/ذ/ث.

7- ثلاثة أحرف ذلقية: ر/ل/ن.

8- ثلاثة أحرف شفوية ف/ب/م.

9- أربعة أحرف هوائية: و/ا/ي/همزة.

10- للبحث عن الكلمة في معجم العين يجب تعيين:

- الحروف الأصلية لها
- أقصى حروفها الأصلية مخرجا.

مدرسة التقفية:

تاج اللغة و صحاح العربية:

صاحب هذا المعجم أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ولد سنة 332ه في فاراب) و توفى 393ه

من أساتذته: أبو علي الفارسي، و أبو سعيد السيرافي، و خاله الفارابي.

كان إماما في اللغة و الأدب، ذا ذكاء و فطنة، جالس أعراب البوادي، و نقل عنهم، و حفظ منهم.

جمع الجوهري في هذا المعجم ما صح عنده من اللغة، و جعله في ثمانية و عشرين بابا، و كل باب منها في ثمانية و عشرون فصلا، على عدد حروف المعجم و ترتيبها، إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول، و قد قال السيوطي: "إن أول من التزم الصحيح مقتصرا عليه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري".

و الصحاح جمع صحيح ، أو هو نعت مفرد مثل صحيح، و تأتي فعال لغة في (فعيل) مثل: بريء و براء.

كان ترتيب الصحاح قائما على أساس الترتيب الألفبائي، بالنظر إل الحرف الأخير من الكلمة الذي جعله بابا، و جعل الحرف الأول منها فصلا، بعد التجريد من الزوائد.

و اعتمد الجوهري على العديد من المؤلفات السابقة في اللغة و النحو البلاغة.

و يتسم الصحاح بما يلي:

1/ العناية بضبط الألفاظ ، إما صراحة، فيقول: بالضم، بالفتح... أو بذكر الميزان الصرفي.

2/الاهتمام باللهجات و لغات القبائل.

3/ العناية بالقضايا النحوية و الصرفية.

و قد اختصر (الصحاح) محمد بن أبي بكر الرازي، و سمى مختصره (مختار الصحاح)، و جعل ترتيبه مبنيا على أساس الحرف الأول من الكلمة.

مثال: كلمة "يلعبون"، نجدها في باب الباء فصل اللام.[6]

.

[6] فتح الله سليمان، دراسات في علم اللغة: ص76،77.